تاريخ الاستلام: 2020/01/05
تاريخ القبول: 2020/01/21

الاتجاهات العلمية الحديثة المفسرة للجريمة

Modern scientific trends that explain crime

غوافرية رشيدة*
arnyli43150@yahoo.fr
جامعة عنابة
(الجزائر)

بوعالية شهرزاد**
boualia.23@hotmail.fr
جامعة الطارف
(الجزائر)

ملخص:

تعتبر الجريمة من اخطر الظواهر الاجتماعية والإنسانية والثقافية والاقتصادية والسياسية في المجتمع، وقد اختلف العلماء على تعدد تخصصاتهم واتجاهات في تفسيرهم للجريمة، فقدموا محاولات علمية لتفسير الجريمة والسلوك الإجرامي، فمنهم من يرجعها إلى جانب بيولوجي تكويني ومنها ماله علاقة بالجانب الاجتماعي ومنهم من يرى أن سببها نفسي، ومنهم من ينظر إلى العوامل المؤدية إلى الجريمة نظرة تكاملية.

كلمات مفتاحية: الاتجاهات ، الحديثة ، الجريمة.

Abstract:

Crime is one of the most dangerous social, human, cultural, economic and political phenomena in society. Scientists have disagreed on the multiplicity of their specializations and trends in their interpretation of crime, so they have made scientific attempts to explain crime and criminal behavior. , And some of them look at the factors leading to the crime integrally.

Keywords: trends, modern, crime

المؤلف المرسل: د. غوافرية رشيدة ، **الإيميل:** arnyli43150@yahoo.fr

المقدمة:

إن الجريمة مشكلة من أكبر المشاكل التي تواجه المجتمعات المعاصرة بحيث تزداد عدد الجرائم في المجتمع، كالسرقة ، و تعاطي المخدرات و العدوان و الاعتداء على الآخرين و....الخ، وما ذلك من السلوكيات التي أصبح المجتمع يتذمر منها و مما لاشك فيه فإن الجريمة ظاهرة يشترك في وجودها مجموعة من العوامل و الأسباب المتعددة و المختلفة بحيث يرجعها البعض إلى عوامل بيولوجية و يرجعها البعض الأخر إلى عوامل نفسية و يرجعها الأخر إلى عوامل اجتماعية و مهما اختلفت التفسيرات و تضاربت فإنه لا يمكن رد الجريمة لسبب دون الأخر إذ أن الدراسات المعمقة في هذا المجال تؤكد وجوب الاعتراف بتعدد العوامل و تنوعها وعليه فسلوك الإجرامي المتأصل في شخصية المجرم وليس فوري ولا وليدا اللحظة الآنية بل هو ميكانيزم مركب ناتج عن تفاعل عوامل داخلية خاصة بالجانب النفسي و الجسمي للفرد وأخرى خاصة تتعلق أساسا بالأسرة التي نشأ فيها الجانح و تأثر بمعاييرها و قيمها و أساليبها التربوية وتتسع الدائرة لتشمل البيئة المحيطة للطفل .وقد تصدى الباحثون في العلوم الاجتماعية و الإنسانية و الاجتماعية لهده الطاهرة بالبحث و العوامل المسببة لهده الطاهرة ، ففي الانتروبولوجيا الجنائية يمكننا التوقف عند ثلاثة اتجاهات أساسية اهتمت بالظاهرة الإجرامية وهي كالأتي : الاتجاه الفردي ، الاتجاه الاجتماعي ، الاتجاه التكاملي ، فمن علماء الانتروبولوجين من نظر إلى الجريمة بنظرة فردية ومنهم من نظر للجريمة كظاهرة اجتماعية ومنهم من ينظر إليها نظرة تكاملية وفيما يلي عرض لأهم الأفكار النظرية والتطبيقية لهده الاتجاهات ولكن قبل دلك سنقوم بالتعاريف الإجرائية لهده الورقة

1-المفاهيم الإجرائية من أهم خصائص العلم التي تميزه عن غيره من ضروب المعرفة ،الدقة والموضوعية ومن مستلزمات الدقة في العلم البدء بوضع تعريفات واضحة محددة لكل مفهوم أو مصطلح يستخدمه الباحثون والعلماء في كتابتهم وفي دراستهم واضحة مهما بدت هده المفاهيم أو تلك المصطلحات بسيطة أو واضحة .والغرض من ذلك تجنب أي لبس في معنى هده المصطلحات وتحديد ما تشير إليه بدقة حتى يلتزم به ويتبعه العلماء ويهدا يتأكدون من أنهم جميعا يتحدثون عن نفس الشيء ومن ثم كان إلزاما على الباحث العلمي أن يكون مستوعبا تماما لكافة المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في تخصصه. ذلك لان المفاهيم تعتبر بمثابة وحدات اللغة العلمية التي بتداولها المتخصصون في فرع معين .أضف إلى هذا أن التحديد لمثل هده المفاهيم هو الذي يجعل الاتصال بين المتخصصين في العلم يسيرة.(مُحَمَّد سيد فهمي وسيد رمضان، 1999،ص 13)

الجريمة :

-الجريمة من منظور اجتماعي: هي كل فعل ضار بالمصالح الاجتماعية وفيه انتهاك التقاليد و الأعراف و العادات يقتضي الحساب و المسألة لمرتكبه (نعام سليم، 145،1980)

-الجريمة من منظور قانوني :الفعل المخالف لنصوص القانون الجنائي الذي يضعه المشرف ويحدد العقوبات المقررة تطبيقها ضد من يخالف أوامره (بالفعل أو الامتناع)(بركات النمر المهيرات ،2001، ص30)

-انتروبولوجيا الجنائية : يبحث علم الانتروبولوجيا في العوامل الفردية للجريمة أو بمعنى أخر يدرس الصفات العضوية و النفسية للإنسان المجرم، وكما أن علم الانتروبولوجيا العام يبحث الإنسان كروح وجسد، كذلك فان علو الانتروبولوجيا الجنائية تبحث هده الأوجه في الإنسان المذنب في النواحي الثلاث الصفات العضوية البحث في الإفرازات العضوية والنواحي النفسية .(مُحَمَّد صبحي نجم ،1979ص 12)

-الانتروبولوجيا :علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني **في** بيئته الطبيعية ودراسة خصائصه النفسية و الاجتماعية ..و الثقافية و الجسمية

2-الاتجاهات المفسرة للجريمة :

2-1 النظرية التكوينية البيولوجية (نظرية سيزارلومبروز)

يعتبر **"لومبروز"** مؤسس المدرسة الوضعية، قام ببحوث وتجارب كثيرة ضمنها كتابه "الإنسان المجرم" وقد قام **"لومبروز"** بملاحظات منضمة وقياسات عديدة على الضباط والمجرمين والمحامين، وبعض المواطنين، ومن خلال المادة في المنهج التجريبي في الطب الجنائي الذي كان يماثل "علم الانتربولوجيا الجنائية" ، يذهب **"لومبروز"** إلى أن المجرم يحمل غالبا بعض العلامات والصفات الارتدادية التي ترده إلى الإنسان المتخلف وهي بذاتها قد لا تؤدي إلى إرتكاب الجريمة ما لم تندمج في شخصية صاحبها، ومن هنا غلب "لومبروز" دور الوراثة على ما عداها من عوامل ، وقد انتهى إلى أمرين أو استنتاجين أساسيين:

الأول: أن الصفات الارتدادية (الصفات الخلقية) الخالقة معه تتوافر لدى معظم المجرمين لا لدى جميعهم.

الثاني: أن الوارثة وحدها لا تؤدي إلى الجريمة، وإنما تؤدي إلى توافر ميل نحو الجريمة ما لم يكن مقترنا بعوامل معينة تكتسب بعد الولادة.

وقد توصل "لومبروز" إلى الإقناع بان الصفات الارتدادية و الإنحطاطية توجد عند بعض الجناة، يعد أن فحص (383) جمجمة لمجرمين متوفين و (6000) من المجرمين الأحياء، و وجد أثناء تشريح جثة مجرم يدعى "فيلالا" VIELLALLA تجويف في قاع الجمجمة يشبه بذلك الموجود لدى الحيوانات العليا كالقردة، كما فحص أيضا مجرم يدعى "فرني" "VERNI" فوجد في تكوينه الجثماني بعض خصائص الإنسان البدائي.

وحتى يتوافق "لومبروز" بين 5 أنماط من المجرمين متأثرا في الوقت نفسه بالأفكار والنظريات السابقة بشلن ارتباط السلوك في تكوينه العضوي.(عوض مُحَمَّد، 1976، ص 73).

- المجرم بالولادة أو الغريزة:

يتميز هذا المجرم بوجود ملامح عضوية خاصة وارتدادية وسمات عقلية ونفسية ومزاجية تشمل بالتشويه أو الشذوذ كعدم تناسق الجمجمة وعرض الفك السفلي والأنف السطح والذقن الضيق، ونتوء عضام الخدين وكثافة شعر الرأس والجسم ويمثل المجرم الشخص الذي تتوفر فيه أكثر من 5 خصائص وبمثله في قلة من 3 إلى 5 خصائص ولا يمكن تبيان هذا النمط بأقل من 3 خصائص(أكرم نشأت إبراهيم ،1999 ،ص 10) الوازع الأخلاقي والاندفاعية أو القسوة و المزاج الحاد وضعف الإحساس بالألم وانعدام الشفقة، وهذا الشذوذ الطبيعي لا يسبب الجريمة ، لكنه يعرف الشخصية المهيأة لانتهاج السلوك الإجرامي، والتي لا تستطيع الابتعاد عن الإجرام إلا إذا كانت ظروف الحياة مناسبة لها بشكل غير مألوف. وهذه الشخصية أما أن تكون ارتداد إلى مرحلة الإنسان المتوحش وإما أن تكون تدهورا يقرب من الصراع ، وكان "لومبروز" في بدء عرض نظريته يعتقد أن المجرمين بالولادة يشكلون جميع المجرمين بنسبة 100% تقريبا. ولكنه فيما بعد خفض نسبهم إلى 40% تقريبا(.آمال عبد الرحيم عثمان، 1970، ص 121).اعتبره مصنفا من أصناف من المجرمين والأصناف الأربعة الأخرى هم كما سماهم و وصفهم المجرم المجنون المصاب بمرض عقلي، والمجرم بالعادة، المعتاد على ارتكاب الجرائم بسبب ظروفه الاجتماعية السيئة والمجرم بالصدفة الذي يرتكب الجريمة لتأثره الربع بالمؤشرات الخارجية، وضعف قدرته على ضبط نفسه مع عدم تبصره بعافية فعله، و المجرم بالعاطفة المتميز بشدة حاسته وانفعالاته العاطفية المشحونة بالحب والكراهية الغيرة الناشئة عنها سلوكه الإجرامي(. أحمد مُحَمَّد خليفة، 1985 ،ص 24).

2- 2-المدرسة التكوينية الحديثة "دس توليو"

يعد "دي تيليو" من أبرز الجنائيين الإيطاليين واعتبر الشخصية المصدر الأول للسلوك الإجرامي، و وافق على المبدأ "لومبروز" بوجود المجرم بالميلاد، ولكنه اعتبرها وحدها غير كافية لارتكاب السلوك الإجرامي(فرانك ويليام 1999، ص 90) .

نادى "دي تيليو" بنظرية الاستعداد التكوين الإجرامي التي يقول بان المجرم يكو ن لديه استعداد أو تكوين إجرامي يظل كامنا حتى توقظه مؤثرات بينية، اجتماعية وتتفاعل معه فيترتب على ذلك حدوث خلل واضطراب نفسي يؤدي بالشخص إلى ارتكاب الجريمة

وذلك عندما يصل الاضطراب الداخلي إلى حد تثور فيه النزعات الغريزية، وتضعف معه السيطرة النفسية عليها ، ولا يوجد الاستعداد والتكوين الإجرامي لدى جميع الناس بدليل أن العوامل الاجتماعية التي تدفعهم إلى ارتكاب السلوك الإجرامي لا تحدث نفس الأثر بالنسبة للأفراد الآخرين وشرح "دي تيليو" فكرته فشبه السلوك الإجرامي بالمرض، فكما أن المرض يتوقف إصابة الجسم به على ضعف قدرة الجسم على مقاومة جرائمية أي أسبابه الخارجية فكذلك الجريمة يتوقف ارتكابها على ضعف قدرة الفرد على التكييف مع مقتضيات وظروف الحياة الاجتماعية نتيجة لخلل نفسي يتمثل فيه الاستعداد الإجرامي.(فرانك ويليام ،1999، ص 73.)

كما ذهب "دي ديليون" إلى وجود ما يسمى بالمجرمين المجانين وميز بين نوعين من المجرمين المجانين هما:

- المجرم المجنون: وهو الذي يرجع سبب أجرامه إلى تكوين كامن فيه وسابق على إصابته بالجنون، وكل اثر الجنون فيه أنه زاد في حدة هذا التكوين الإجرامي ولذلك فإن شفاء مثل هذا المجرم من الجنون لا يمنعه من العودة إلى الجريمة مرة أخرى، لأن تكوين الاستعداد الإجرامي لديه لا يزال قائما.
- المجنون المجرم:وهو الشخص الذي يرجع إجرامه إلى جنونه دون أن يكون لديه أي استعداد أو تكوين إجرامي سابق على إصابته بالجنون وعلى ذلك إذا شفى هذا المجرم من مرضه العقلي زال إجرامه.ويضيف صاحب هذه النظرية أن التكوين الإجرامي يستخلص وجوده لدى فرد ما بدارسة شخصيته من 3 جوانب.

الجانب الأول: دراسة أعضاء الجسم الخارجية ما إذا كانت عادية أو شاذة وقد بين "دي تيليو" من دراساته أن المجرم بحكم ألتكوينه يكون مصابا بعيوب عضوية تزيد نسبتها لديه عنها لدى الشخص العادي، فضلل عن أن نسبة المصابين بهذه العيوب في عدد معين من المجرمين اكبر من نسبتهم في نفس العدد من غير المجرمين.

الجانب الثاني: دراسة وظائف الأعضاء الداخلية كالجهاز الدوري والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والتناسلي والجهاز العصبي ويدخل في هذا الجانب دراسته درجة إفرازات الغدد ومدى تأثير ذلك في حالة الشخص النفسية، وقد كشفت هذه النظرية عن وجود عيوب في الجهازين الدوري والبولي، وخلل في إفرازات الغدد واضطراب في الجهاز العصبي لدى المجرمين وهذه العيوب توجد لدى الأشخاص العاديين أيضا لكن نسبة انتشارها بين المجرمين أعلى.

الجانب الثالث: دراسة الحالة وخاصة درجة نشاط الغرائز والحاجات التي تتولد لهذا الجانب تميز المجرمين شذوذ غريزي لا يتوافر لدى الأفراد العاديين ومن أمثلة ذلك الشذوذ في غريزة الدفاع والقتال وهو يؤدي إلى ارتكاب الجرائم التي يقع على الحياة كالقتال والضرب والشذوذ في غريزة التملك يدفع المجرم إلى السرقة.

(فوزية عبد الستار،1985، ص 64).

ثم حلل العوامل المتفاعلة المؤدية بالشخص إلى السلوك الإجرامي ، فيمثل عامل الاستعداد آو التكوين الإجرامي النواة الأولى التي يتفاعل معها باقي العوامل ثم العوامل المساعدة منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي، وهي تلتقي لتساعد على تقبل الجريمة وارتكابها، وأخيرا العوامل المحركة للسلوك الإجرامي، إلى حيز التنفيذ.

2 -3-النظرية الاجتماعية للانحراف:

ظهرت هذه النظرية نتيجة تزايد الإقرار بأن عوامل الانحراف تمتد جذورها امتدادا عميقا في نطاق الحياة الاجتماعية والانفعالية للأسرة والمجتمع المحلي، وبأن هذه العوامل معقدة ومتشابكة أمام العوامل النفسية والجسمية والاجتماعية.(مُحَمَّد سلامة مُحَمَّد غباري ،1980، ص 71).ومن ثم فإن هذا الاتجاه في تفسيره للسلوك الإجرامي "يجعل الجريمة موضوعا اجتماعيا أو ظاهرة اجتماعية من ظواهر المجتمع الإنساني"فهي ظاهرة اجتماعية ذات أبعاد اجتماعية معينة ولذلك فإن هدف هذه التفسيرات الاجتماعية هو تحديد هذه الأبعاد وتشخيص تلك العوامل المختلفة التي تشكل تلك الخلفية لتكوين السلوك الإجرامي أو تطويره.

2- 3-1. نظرية دوركايم:

يعتبر "دوركايم" من أبرز رواد النظرية الاجتماعية وهو صاحب النظرية اللامعيارية ا لأنومي ANOMIE ،. حيث يعتقد أن الجريمة ظاهرة اجتماعية اعتيادية تمس بالمجتمع وتركيبه وبنائه وبطبيعة الحياة الاجتماعية ذاتها ولذلك تكون من وظائف المجتمع وتفاعلاته.(عدنان الدوري ،1985 ،ص 205) فهو يرى بأن ظاهرة الانتحار تعتبر وجها من أوجه السلوك المنحرف المخل بالنظام المجتمع ، فالتنظيم الاجتماعي كما يراه "دوركايم" يشكل ضابطا لسلوك الأفراد في المجتمع وحين يخل مثل هذا الجهاز يضطرب في تأدية ووظيفة الضابطة ينطلق الأفراد وراء تحقيق أهدافهم متجاوزين كل الأهداف المقررة والوسائل المقررة لتحقيقها، وعندئذ تفقد الجهة التقليدية الضابطة قدرتها على تصحيح مسيرة الأفراد وضبط سلوكهم. ولذلك يتعرض المجتمع إلى حالة عدم انتظام بحيث تغيب السوية الاجتماعية ويحل الشذوذ أو الانحراف، مما يؤدي إلى فقدان الأفراد القدرة على مواصلة عملية التوافق الاجتماعي المطلوب ، إذ يعمد "دوركايم" إلى حصر الانحراف في فترات أو ظروف معينة قد تكون حصيلة التغير الاجتماعي السريع والتي نجملها كالتالي(عدنان الدوري ،1984 ،ص 239)

- الأزمات الاقتصادية الحادة والتي تصعب من قدرة الأفراد على مواصلة عملية التوافق الاجتماعي المطلوب وذلك بما لديهم من إمكانيات ضئيلة.

- الرخاء الاقتصادي المفاجئ والذي يشجع الأفراد على المبالغة في قدراتهم يحاولون تحقيق ما يفرق حدود طاقاتهم الحقيقة.

- حالة التغير التقني السريع والذي يفتح أمام الأفراد أفاقا خيالية تجعلهم يتجاهلون حدود طاقتهم المعقولة.

ومن هذا المنطق فهو يرى بأن السبب الجوهري الذي يخلق نمط الانتحار اللامعياري هو سيادة أو غياب المعايير وتلاشي القواعد الأخلاقية التي تميز المجتمعات المعاصرة واعتبر أن ظهور هذا الأخير مرتبط مباشرة بالتغيرات الاجتماعية العميقة خاصة منها الأزمات الاقتصادية والحروب. وأكد أن التوازن بين الحاجات التي يطمح إليها الفرد وإمكانيات إشباعها قائم على وجود قوة ما تحد من رغبة الإنسان، لكن هذا الأخير لا يستطيع أن يفعل ذلك بنفسه مما يخلي حاجة إلى قيد خارجي.ففي ظل الضبط الاجتماعي يقبل الأفراد كل في مجاله القيود الموضوعة على مطامحه ولا يأمل في شيء يتجاوز تلك الحدود لكن في فترات الأزمات الاقتصادية يصبح المجتمع غير قادر على ممارسة دوره المعتاد في الضبط(عنصر العياشي، 1990، ص 90.) وهذا ما ينتج عنه وبصورة حتمية أن الأفراد لا يستطيعون التكيف مع أوضاعهم المستجدة بينما تحمل معاناتهم الناتجة عن ذلك على انتزاعهم من وجود منحط قبل أن يحرز أطمعه، ومن ثم فإن هذا ما يبرز سلوكيات الجزافية يسعى من خلالها الأفراد إلى تحقيق أهدافهم عن طريق الخروج عن قواعد ومعايير المجتمع .

- 2-3-2 **نظرية الاستيلاب الاجتماعي:** صاحب هده النطرية جيفري djevre طهرت سنة 1959تعتمد هده النظرية في تفسيرها للفعل الإجرامي معتمد على مفهوم الشخص المجتمع و التصور نظرية الاستلاب الاجتماعي ترى أن المنحرف يتصف بفقدان الشخصية الاجتماعية لقد كان تكوين انه و الأنا الأعلى مختلا نتيجة تقمصه الناقص غير الكامل للصور الوالدين كما أن اندماجه في المجتمع ليس جيدا فهو لم يتمكن من أخد الموضع الذي يرده ولم يستدمج قيم الثقافة العامة إلا جزئيا مما يضعه في حالة تهميش عقلي بالنسبة لوسطه ويرى جيفري خاصة لاشخصانية العلاقات الاجتماعية تتظاهر في شكل عدم صدقها بسبب عدم الاستطاعة العضوية أو الحادثية و يجمع مصطلح الاستيلاب كل نظريات الإجرام (في الطب العقلي وعلم النفس و الإجرام).(عميري بومدين ، 2013 ، ص 42)

2-3-3 –**نظرية "فرديريكتراشر"** : TRASHER وتمثل هذه النظرية اتجاها اجتماعيا في تفسير طبيعة انحراف الأحداث بوصفة ظاهرة اجتماعية فقد أجرى (TRASHER) دراسة ميدانية رائدة تناولت (1313) عصبة أطفال من منطقة شيكاغو الأمريكية ضمت 25.000 من الأطفال الصغار والشباب الذكور أي أن العصبة المنحرفة ذات تاريخ طبيعي كأي جماعة أخرى حيث تتكون

بنفس العمليات والظروف التي تتكون بها أنواع الجماعات الأخرى، ولكنه لنم يرى أن مثل هذه العصبة المنحرفة تشكل سبب الجريمة أو سبب الانحراف ذاته بل مجرد عامل من عوامل عديدة.

إن تنظيم العصبة الجامحة وما توفره من أسباب الحماية لأفرادها قد يساهم إلى حد كبير في تسهيل تنفيذ الأعمال الإجرامية وتبادل الخبرات بشأنها وبالتالي انتقال أساليب ارتكاب الجريمة بين أفرادها.

وحسب(TRASHER) تطورات العصبة بصورة تلقائية من جماعات اللعب التي ينتمي إليها المرهقون ولكنها يتحول إلى عصبية منحرفة بسبب قيام صراعات شخصية بين جماعات اللعب وهذا ما يؤدي إلى تكتل أفراد كل عصبة وتكوين تنظيم معين لحماية حفوف أفرادها العصبية ومصالحهم المشتركة وكذا الإشباع بعض الحاجات تنشأ في بيئة اجتماعية ذات خصائص ملائمة لظهورها كغياب فعالية الضبط الأسرى للأطفال يوجه عام، إضافة لإلي مظاهر الفقر والفساد السياسي التي تساهم في خلق الظروف والموقف الملائمة لنشوء الجريمة والانحراف. (عدنان الدوري ،1984، ص 120-ص 121).

2-3-4 -نظرية الوصم: THE LABELING

من أبرز نظريات الاتجاه التفاعلي التي ترى أن الطريقة التي يتعامل بها المجتمع مع الفرد هي التي تؤدي إلى وجود الفرد واستمراره في ذلك السلوك المنحرف هي "نظرية الوصم LABLING THEORY التي قدمها العلامة الأمريكي "أودين لميرت".

وهذه النظرية ترى أن الانحراف ما هو إلا نتيجة تفاعلية بين الفرد المنحرف وردود أفعاله من المجتمع تجاهه، وتنامي تلك الردود في عملية تصاعدية تؤدي بالفرد في النهاية إلى استقراره على ذلك السلوك المنحرف ومن ثم وصمه بتلك الوصمة.

ونقوم نظرية الوصم عند " أودين لميرت" على فرضيتين رئيستين(:الطخشي إبراهيم عبد الرحمان ،1984، ص 98)

الأولى: أن الانحراف لا يقوم على نوعية الفعل وماهيته بقدر ما يقوم على نتيجة ما يوصف به الفاعل من قبل المجتمع.

الثانية: الانحراف عملية اجتماعية تقوم بين طرفين الفعل ألانحرافي من جانب وردة فعل المجتمع تجاه هذا الفعل الانحرافي ووصمة بالانحراف من جانب أخر.

وعلى هذا الأساس يرى أصحاب هذا الاتجاه أن عملية الوصم "LABLING PRACESS التي تقوم بها المؤسسات الإصلاحية مثل السجون ، ودور الملاحظة والتوجيه، وغيرها لها دور كبير في إضفاء صفة الجنوح والانحراف والإجرام على أفرادها، ومن هنا فإن المؤسسات من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه لا تعمل على إصلاح من يدخلها بقدر ما تصيع من يدخلها من الأفراد بهذه الصفة، وبالتالي يتكرس فيها ذلك الإنحراف نتيجة لتلك الوصمة أو الصفة التي يطلقها عليهم المجتمع.

ولقد وضع " أودين لميرت" عددا من المراحل لتبلور واكتمال هذا الانحراف.

1- يرتكب الفرد انحرافه (الأول) كمبادرة لاختبار ردة فعل المجتمع اتجاهه.

2- حدوث ردة فعل المجتمع وتتمثل في معاقبة الفرد على تصرفات الانحرافية.

3- يكرر الفرد انحرافه وتكون بنسبة وبحجم أكبر من الانحراف الأول.

4- يقوم المجتمع بردة فعل وتتمثل في عقوبة الفرد على سلوكه المنحرف ولكنها بكون بشكل أشد، ورفض أقوى من المرة الأولى.

5- يزداد الانحراف ويصاحبه شعور بالعداء تجاه الذين يمارسون العقاب معه أو رفضه

6- ابدأ الردود الرسمية للمجتمع وتأخذ شكلا جديدا باختفاء صفة الانحراف على الفرد

7- يزداد الانحراف بوصفة ردا مباشرا على المجتمع الذي أطلق عليه صفة الانحراف و وصمه به.

8- وفي هذه المرحلة يقبل المنحرف صفة الوصم بالانحراف مع محاولة التكيف والتوافق مع مركزه الاجتماعي الجديد بوصفه فردا مبتورا من المجتمع.(مرجع سابق ص 100،ص101).

-إن نظرية الوصم وإن كانت تمد من أبرز الاتجاه التفاعلي في تفسير السلوك ألانحرافي إلا أن ما يؤخذ عليها وعلى اتجاهها التفاعلي بصفة عامة هو أن هذا الاتجاه لا يفسر كيفية بداية الانحراف وإنما يفسر استمرار الفرد المنحرف في تلك الطريق بسبب ردة فعل المجتمع.

التفاعلية الرمزية هي اتجاه نظري يصدر الاحتمالات الممكنة التي تواجه عملية التفاعل بين الأفراد وخاصة فيما يتعلق بتكوين الذات وقد بدأ استخدام التفاعلية الرمزية لمصطلح يشير إلى مدخل نفسي اجتماعي لبحث موضوعين هامين: التنشئة الاجتماعية و الشخصية.

وتشير بعض الكتابات إلى أن "GH Mead" وهو مؤسس التفاعلية الرمزية ومنظرها الرئيسي وذلك يعمله المرسوم بالعقل والذات، والمجتمع كما تمتد أصولها أيضا إلى نظرية "بارستور" وفكرته حول الفعل الاجتماعي والتي تقوم على مجموعة من المسلمات أهمها اختيار الفاعل لأهدافه والوسائل التي تضمن له تحقيقها، فيوجه أفعاله نحو غيره من الأفراد الذين يبادلونه الأفعال مما شكل أنماطا من الأدوار والمكانات في المجتمع ، ويذهب "بلومر" إلى التفاعلية الرمزية تشير إلى الخصائص المميزة والفريدة التفاعل الذي يقع بين الناس، فالمتفاعلون لا يستجيبون فقط للآخرين و إنما يؤولون ويعرفون أفعال الآخرين فاستجابة الفاعل ليست فورية ومباشرة وإنها تقوم على تقوم معنى الفعل، فالتفاعل الإنساني إذن يتوسطه استعمال الرموز من خلال تأويل أو تأكيد معنى أفعال أخرى(ارفنجزليتن ،1998، ص 356) ، وبالتالي فإن المنطلق الرئيسي في الاتجاه التفاعلي الرمزي هو أن المجتمع الإنساني يتكون من أفراد يملكون دواتا أي يقيمون المؤشرات لذواتهم، فالإنسان بإمكانه أن يجعل من نفسه موضوعا لأفعاله أو أن ينظر في اتجاه نفسه كما يتصرف تجاه الآخرين ويعطي هذا الإنسان القدرة على الإشارة عن نفسه وهذه المؤشرات هي ما نسميه بالوعي، فالفعل الإنساني يناء لأنه بني من قبل الفرد من خلال ملاحظة وتأويل أوجه الموقف الذي تصرف فيه، وأن أفعال الجماعة والأفعال الجماعية تتكون من نظم الأفعال الفردية الحاصلة من تأويل الفرد أو عن اعتبار كل واحد أفعال الآخر وبالتسليم بالنظرة التي مفادها أن الفرد عندما يأخذ ذاته في الاعتبار عليه أن يأخذ ذات الآخرين في اعتباره أيضا و إن يتشرب أدوارهم ، ولذا ترى هذه النظرية أن إدراك الفرد للمعايير أو توقعات الدور تجعله ملتزما في سلوكه بأعضاء الجماعة سواء كان ذلك على المستوى الجماعي أو على المستوى الفردي، ومن هنا فإن التفاعلية الرمزية ترى أن العلاقة بين الفرد والمجتمع ليست علاقة حتمية فإذا كان الفرد مخلوقا اجتماعيا فإنه بذلك ينشأ من التفاعل بين معطياته الخاصة وبين الظروف الاجتماعية التي يندمج فها والتي يصنعها أيضا من خلال تفاعله مع الآخرين ...(على شتا.2000 ،ص133) .

ولهذا السبب "سندرلاند" « STHERLAND » في تفسيره للسلوك الإجرامي على أنه سلوك يتم اكتسابه عن طريق التفاعل مع أشخاص آخر ين عملية اتصال شفهي أو عن طريق الرموز(.مُحَمَّد سلامة مُحَمَّد غباري ،1980 ص 83) ، واستند في تفسيره هذا إلى أرضية واحدة هي عدم التنظيم الاجتماعي فهو يعتقد أن عدم التنظيم الاجتماعي هو الذي يهيئ الظروف والمواقف الملائمة للانتقال بعض الأنماط السلوكية الإجرامية من أشخاص مجرمين إلى أشخاص متبايني وبصورة عشوائية بل يتم بين أشخاص على درجة من الصلة الشخصية أو على درجة واضحة من الصداقة. فتنشأ بين هؤلاء الأفراد علاقات أولية مباشرة.

إن ما يتعلمه الفرد خلال اختلاطه بالآخرين يتكون من جانبين أساسيين، جانب العناصر المادية التقنية التي تتعلق بطرق ارتكاب الجريمة ووسائل التحضير لارتكابها، و جانب المواقف والاتجاهات والبواعث والتبريرات التي تدفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة، ترسم له الإطار الفلسفي الإجرامي الذي يبرر له ارتكاب الفعل المحرم.

يوضح "سندرلاند" هذا الأمر بعملية تجري بين نوعين من القوى، مجموعة قوى الاتجاهات والمواقف السلبية التي تدفع الفرد أو تشجعه على مخالفة القانون وارتكاب الجريمة، ومجموعة الاتجاهات والمواقف الايجابية التي تشجع الفرد على احترام النظام والقانون وبالتالي تصرفه عن ارتكاب الجريمة.(عدنان دوري، 1984، ص 249.)

2-4-النظرية النفسية:

2-4-1 المدرسة التحليلية:

لا يمكننا أن نتطرق إلى نظريات علم النفس المفسرة للسلوك المنحرف دون أن نقف عند المدرسة التحليلية، التي أولت اهتمام كثيرا، في تفسير الاضطرابات النفسية، فهي سلطت أضواء أساسية على دوافع السلوك المنحرف لدى الأحداث، وساعدت على فهم تركيب الشخصية، كما أنها ساهمت في وضع خطط علاجية وتربوية لمساعدة المنحرفين وهذا بعد فشل الأساليب التربوية التي كانت تقوم على مبدأ العقاب والتواب.

-حيث كل التفسيرات الحالية كانت منطلقاتها من التحليل النفسي الذي رسم الأبعاد الأساسية في تفسير السلوك المنحرف للأحداث وهذه الأبعاد هي مشكلة العلاقات مع الوالدين، مسألة الحرمان العاطفي، مسألة الذنب والنقص ...إلخ، النظرية النفسي، لم تتبلور هكذا تلقائيا وإنما مرت بمراحل: فأخذ المحللون يفسرون السلوك المنحرف كل حسب تخصصاته وكل يرى حسب زاوية معينة ، لقد كان المحللون السابقون يرون السلوك ألانحرافي، أو يفسرونه على أنه يصيب العصاب وذلك من خلال ملاحظتهم للعديد من المنحرفين يتميزون باضطرابات نفسية وهذه الصفة تميز الحياة العصبية ، فالمنحرف الشبه بالعصابي من حيث سرعة التوتر وتفجر القلق النفسي، ومن حيث عدم استقراره وسرعة انفعاله ونقص نضجه الشخصي، وعدم تمكنه من الارتباط بعلاقات عاطفية مستقرة، وسرعة انفعاله وخصوصا الاضطرابات الجنسية التي تلاحظ عنده بكثرة ، كما أن دراسة بعض التصرفات الجنائية تثبت علاقتها بعقدة(أوديب)، وعقدة الحسد الأخوي، والرغبة في التعويض النفسي وكلها من مكونات العصاب الأساسية ، ولما كانت حلول الحياة النفسية للعصابي المتمثلة في دوافعه ونزواته المكتوبة ي اللاوعي تظهر أن هناك شحنات هائلة من النوازع العدوانية والجنسية وميول دفينة لتصرفات إجرامية كما أن دراسة أحلام العصابي وكوابيسه تشيرإلى كثرة موضوعات العدوان والاعتداء والضرب والجرح والدم، وهي أمور تميز حياة بعض المنحرفين الذين ينزعون إلى العنف ، ولهذا اعتبر المنحرف في بداية الأمر كشكل من العصاب، وبعدها توصل الباحثون بأن الأعراض العصبية ليس لها صلة بالانحراف أو بالسلوك ألانحرافي . فالأعراض بينها، أي الأعراض العصبية، وبين سلوك المنحرف ليست سببية (مصطفى حجازي، 1995، ص 17) الدراسة النفسية لجانح مرت بمرحلتين أساسيتين:

1- الجانح بدون أنا أعلى.

2- الجانح ذو أنا أعلى عنيف.

1.الجانح بدون أنا أعلى: أول محاولة كانت من طرف أحد تلامذة "فرويد" وهو "أيكهورن" الذي افترض أن الجانح بدون أنا أعلى، وقد استشار في هذا معلمه "فرويد" الذي وافق له عل الافتراض، وكان المبرر من وراء وضع هذا الافتراض هو أن:

- سلوك هؤلاء الجانحين يتميز بالعنف والاندفاع وانعدام ضبط الذات، وانعدام مشاعر الذنب والخطأ والندم، وعدم الإحساس بالآخرين بألأمهم، أي أن المراقبة الذاتية منعدمة تماما وهي ما يقصده "أيكهون"، بحيث يضع كل هذه التصرفات السابقة الذكر تحت مسؤولية الأنا الأعلى الذي يعد مركز الضبط الخلقي، ومشاعر الذنب ومحاسبة الذات إلا أن الدراسات أثبتت أن الجانح لا يختلف كثيرا عن الناس العاديين.

2- الجانح ذو أنا أعلى عنيف:

وهذه النظرية عكس الأولى تماما بحيث تفترض بأن هناك أنا أعلى عنيف يمارس عل صاحبه نوع من الهمجية ويدفعه باستمرار إلى وضعيات تنتهي به إلى العقاب والحط من القيمة الذاتية، وهو بذلك تحرمه من الوصول إلى الجناح. أو إلى العيش اللائق، وفي هذه النظرية يلتقي "فرويد" و"ميلاني كلاين" ولكن كل واحد يفسره حسب المنطلق الذي يقتنع به.

- رأى فرويد:

يرجع "فرويد" الجنوح أو الجانح إلى الأنا الأعلى القاسي الذي يدفعه الجانح إلى العقاب نفسه وذلك قصد تهدئة سلوكه، ويرجع هذا إلى فشل في حل عقدة أوديب وهو أن الطفل يبقى متعلقا بأمة ومشحونا بالنوايا العدوانية اللاواعية تجاه السوية يتميز برأفة والتشجيع ولتقدير .(نفس المرجع ،ص 26.)

- ويظهر العنف على شكل ذنب قوية تحتاج إلى عقاب كي تهدأ، ولذلك فالجانح حسب "فرويد" مدفوع بأفعاله بالبحث اللاواعي عن العقاب ولقد فسر "فرويد" وبغض أتباعه مثل "باش" " Pache"

و "فرويد لاندر" « Friendlander » ظاهرة تكرار فعل الجنح إلى أن الجانح يبدو وكان لديه انجدانا نحو السجن، وكأنه ينحرف كي يعاقب في السجن يبدو عليه الهدوء لأن العقاب يسكن صوت الأنا الأعلى، ولا تمض فترة طويلة بعد خروجه من السجن ، وكأنه ينحرف كي يعاقب في السجن يبدو عليه الهدوء لأن العقاب يسكن صوت الأنا الأعلى ، ولا تمض فترة طويلة بعد خروجه من السجن حتى يتحرك الأنا لذلك من جديد مطالبا بالعقاب من خلال إثارة مشاعر الذنب الشديدة ويستجيب الجانح لذلك بالعدوان والسلوك المضاد للمجتمع فيعاقب من جديد وهكذا تصبح العملية تكرارية.

رأي ميلاني كلاين:تختلف "ميلاني كلاين" مع وجهة نظر "فرويد" حول نشأة الأنا الأعلى الهمجي، بينما يرده "فرويد" إلى عقدة أوديب ما بين السنة الثانية والنصف و الخامسة والسادسة من العمر ترى "ميلان كلاين" الأنا الأعلى سابق لعقدة أوديب ويتكون من السنة الأولى من الحياة لدى الطفل وترجمة إلى العلاقة الأولية مع الأم من خلال تجربة الرضاعة فإذا كانت هذه العلاقة وما رافقها من علاقة سارة ومطمئنة ومشجعة للطفل تكونت لديه صورة إيجابية عن الأم، وهذا ما تطلق عليه "ميلاني كلاين" اسم صورة الأم الصالحة الجيدة « la bonne mère » أما إذا كانت التجربة مؤلمة أو محبطة ولم يحصل الطفل خلالها على الارتياح والطمأنينة فيتكون لديه صورة سلبية عن الأم وهو ما تطلق عليه اسم الأم السيئة "la mauvaise mère".

وصورة الأم هذه سواء كانت إيجابية "الأم الجيدة" « la bonne mère » أم الأم السيئة "la mauvaise mère" تشكل النواة الأولى لكل صورة تالية يكونها الطفل اتجاه الآخرين وعن العالم من ناحية ولكل صورة يكونها عن وجوده من ناحية أخرى، ويتم ذلك من خلال آلية الاستدخال INTROJECTION وهكذا تودي صورة الأم الجيدة إلى تكوين صورة إيجابية عن الذات وبالتالي تنشأ أنا أعلى ودودا ورفيقا.

-أما صورة الأم السيئة فتؤدي إلى تكوين قيمة سلبية عن الذات وإلى تكوين أنا أعلى همجي عنيف يمارس بطشه على الطفل(مصطفى حجازي ،1995 ،ص28) ، وهذا ما دفع "بميلاني كلاين" لتؤكد على الثنائية النزوية (نزوة الحياة ونزوة الموت) وظهورها في الطفولة المبكرة، وتؤكد تفوق الصراعات الداخلية على مشكلات التكيف المتعلقة بالصراعات المحيطة.(نفس المرجع ،ص29).

3- أما بالنسبة ل أنا "فرويد" « A.FREUD » فهي ترى إن الجانح إنسان بدون أنا أعلى كون سلوك الجانح يتميز بالعنف والاندفاع، انعدام الاتزان الذاتي، انعدام مشاعر الذنب وعدم الإحساس بالألم الآخرين، كل هذا يعود إلى غياب أنا على يقوم بوظيفة التنظيم للأجهزة النفسية (الهو/ الأنا /لأنا العلى) مما يؤدي بالشخص إلى خرق القوانين الاجتماعية بشكل أناني وهذا الغياب للأنا الأعلى يعود إلى عدم القدرة على الإحباط المتزايد للنزوات والرغبات وتأجيلها. وكف أهدافه أو تحويل أهدافها نحو أهداف وموضوعات أخرى وتقبل الرغبات البديلة، ويشير الكثير من المحللين النفسانيين إلى أن غياب الإحباط يشكل السبب الرئيسي لسوء التكيف الاجتماعي وظهور السلوك الجانح ، يؤكد(اركسون) في تفسيره للجناح على إخفاق الشاب ب في تنمية هويته الشخصية بسبب خبرات الطفولة السيئة والظروف الاجتماعية الحاضرة مما يؤدي إلى الشعور بأزمة الهوية أو تمييع الدور الذي يظهر على شكل عجز عن اختيار عمل أو مهنة أو مواصلة تعليم ، يعاني كثير من المراهقين من صراع فهم يشعرون بالقصور والغربة وأحيانا يبحثون عن هوية

سلبية، هوية مضادة للهوية التي خطط لها الوالدين أو جماعة الأتراب مما يفسر بعض السلوك الجانح بهده الطريقة (خليل عبد الرحمان الطرشاوي 2002 ص39).

2-5 النظرية التكاملية حسب مانهايم في المسببة الانحراف:

وفحوى هذه النظرية أن الانحراف تنشأ عن التقاء مجموعتين من العوامل إحدى هذه المجموعات مادية جسمية والأخرى اجتماعية اقتصادية التقاء هذين بعامل عقلي أو نفسي يكون بمثابة العامل المحول إلى الانحراف فالعامل العضوي لا يتمخض بمفرده عن الجريمة. ومثله في ذلك العامل الاقتصادي إلا إذا مرا معا إلى محول إلى طريق الانحراف. وهو العامل النفسي فلابد إذن في كل جريمة من عامل نفسي أو عقلي ينتجها وبدونه ما كان يمكن أن تقع وقد يكون للعامل الجسمي أو الاجتماعي ثقل كبير فتقع الجريمة دون أن تحتاج إلا إلى قدر ضئيل من الظروف الاجتماعية والعضوية ومعنى ذلك أن هذه النظرية تفترض حدوث التفاعل
بين العوامل الجسمية واجتماعية مع العوامل النفسية في الفرد بحيث تنتج الجريمة(عبد الرحمان العيسوي ص 242.)

خاتمة:

اختلافات التفسيرات المؤدية إلى الجريمة والسلوك الإجرامي منها ماله علاقة بالجانب البيرولوجي و انطلاقا من وجود تكوينات عضوية محركة للفعل الإجرامي وللجريمة ومنها ما علاقة بالجانب الاجتماعي و أخر يرجعها إلى الجانب النفسي ومنها من يرى أن الصراع الثقافي دور في ظهور السلوك الإجرامي ، وهناك من يفترض حدوث التفاعل بين العوامل الجسمية واجتماعية مع العوامل النفسية في الفرد لحدوث الجريمة ، فمهما تداخلت التفسيرات و العوامل المؤدية إلى ظهور طاهرة الجريمة في المجتمع فان هناك إجماع من طرف المختصين على ضرورة معالجة هده الطاهرة و الاهتمام بهذا المجرم الذي له شخصية خاصة ومميز ة وتكفل به من خلال برامج علاجية فعالة.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

قائمة المراجع:

- أكرم نشأت إبراهيم ، (1999)علم الإجرام الجنائي ،دار الجامعية الإسكندرية.
- الطحسي ابراهيم عبد الرحمان ، (1984)دراسات في علم الاجتماع الجنائي،.دار العلوم للطباعة و النشر الرياض.
- عباس محمود عوض ،(1974)،علم نفس النمو ،دار المعرفة الجامعية .
- عدنان الدوري ،(1985) أسباب الجريمة و طبعة السلوك الإجرامي ،ذات السلاسل ط3
- عدنان الدوري ،(1985) أسباب الجريمة و طبعة السلوك الإجرامي ،ذات السلاسل ط3
- على شتا،(2000) التفاعل الاجتماعي و المنظور الظاهري ،ط1 المكتبة المصرية إسكندرية.
- عنصر العياشي ،(1990)،الظواهر الاجتماعية ،ط1 طلا سدار دمشق سوريا .
- عوض مُحَمَّد ،(1976)، مبادئ علم الإجرام و وعلم العقاب ،ج1 إسكندرية
- فرانك ويليام(1999) السلوك الإجرامي ،النظريات ، دار المعرفة الجامعية مصر.
- فوزية عبد الستار،(1978) مبادئ الإجرام و العقاب ،دار النهضة - بيروت لبنان ط5 .
- مُحَمَّد حجازي،(1995)، تأهيل الطفولة غير المتكيفة .الأحداث الجانحون .دار الفكر ط1 بيروت 1995.
- مُحَمَّد سلامة مُحَمَّد عياري ،(1980) ،الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين و دور الخدمة الاجتماعية .المكتب الجامعي ،الاسكندرية مصر.
- مُحَمَّد سلامة مُحَمَّد عياري ، (1980) ،الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين و دور الخدمة الاجتماعية .المكتب الجامعي ،الاسكندرية مصر ..
- مُحَمَّد صبحي نجم ، (1979)المدخل إلى علم الإجرام وعلم العقاب ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر طبعة
- نعام سليم (1980)،الانحراف ، المكتبةالخدمات للطباعة، دمشق

رسالة ماجستار :

- عميري بومدين ،(2013) نماذج تماهيات لدى المراهق المنحرف في الوسط المؤسسة ،رسالة ماجستار في جامعة وهران الجزائر.